دراسة خمس روايات تخصّ مشاكل النساء فى المملكة العربية السعودية وفقا على نظريات لويسان غولدمان الاجتماعية

كمال فلاحي
طالب دكتوراه بجامعة اصفهان–ايران
fallahi555@yahoo.com

د. حميد احمديان
الاستاذ المشارك بجامعة اصفهان – ايران
(كاتب المسئول على المراسلات والمكاتبات)
ahmadian1776@yahoo.com

د. سردار اصلاني
الأستاذ المشارك بجامعة أصفهان– ايران
عضو هيئة التدريس فى قسم اللغة العربية
sardareaslani@yahoo.com

(مُلَخَّصُ البَحث)

تُعدُّ مشاكل النساء من أهمّ الموضوعات التي يتناولها الروائيون والروائيات فى المملكة العربية السعودية، وهو موضوعٌ يندرج تحت الدراسة الاجتماعية للرواية؛ ومن ثم فإنَّ نظريات لوسيان غولدمان الاجتماعية ولاسيّما البنيوية التكوينية تُعدُّ أرضية مناسبة لدراسة روايات تتوافر على مواضيع كذا مثل هاتيك الموضوعات ، و بناءا على هذا، تمّت دراسة خمس روايات تروي أحداث تطرأ على شخصيات نسائية يعشن فى المملكة العربية السعودية، والروايات هي «الاختلاس» لهاني نقشبندى، و«نساء المنكر» لسمر المقرن و«حين رحلت» لسهام مرضى و«هند والعسكر» لبدرية البشر و«أنثى العنكبوت» لقماشة العليان. ظهرت البنيوية اللسانية في منتصف العقد الثاني من القرن العشرين مع رائدها فرديناند دي سوسير من خلال كتابه الشهير «محاضرات فى اللسانيات العامة» ويُعدُّ لوسيان غولدمان من أهم السوسيولوجيين الذين عبر بنظرياته الاجتماعية في الارتباط مع الأدب الروائي والبنيوية التكوينية الذي تمكّن من مزاوجة الرؤية الاجتماعية والأدبية في المستوى العالمي حيث وصلت هذه الرؤية إلى العالم العربي واليوم بإمكاننا دراسة الروايات الاجتماعية التى تخصّ مشاكل النساء التي تكتب بكثرة فى المملكة العربية السعودية فى رؤية واقعية بناءا على مبادىء لوسيان غولدمان الاجتماعية والبنيوية التكوينية، و في هذا المقال تمتّ دراسة الروايات المشارة إليها على وفق نظريات لوسيان غولدمان الاجتماعية و هذه هى النتائج الرئيسة: التشيؤ والبطل الإشكالي واعتبار العمل الأدبي صنيع الجماعة والروائي وحده من أهمّ المقولات

في هذه الروايات المدروسة، فضلا عن ذلك، تغلب النزعة المضمونية على الشكلية في هذه الروايات، كما أن للموضوع والجوانب المضمونية أهميّة كبيرة لدى لوسيان غولدمان، وفي نهاية المطاف، توجد السمات البارزة للمذهب الواقعي في هذه الروايات والواقعية إحدى الروافد التي كانت وراء ظهور البنيوية التكوينية.

الكلمات الدليلة: لوسيان غولدمان، البنيوية التكوينية، مشاكل النساء، المذهب الواقعي، التشيّؤ.

المقدّمة

يُمكنُ اليوم ملاحظةُ مشاكل النساء والظلم الذى يطرأ عليهنّ من لدن المجتمع الذكوري في المملكة العربية السعودية في الكثير من الروايات التى تكتب في هذه البلاد ونلاحظ فى هذا الحقل الروائيين والروائيات منشغلين بمشاكل النساء؛ ولهذا إذا أراد دارس أو ناقد أدبي دراسة هذه الروايات، يرى الدراسة الاجتماعية أرضية مناسبة. وفي عالم النقد الأدبى والاجتماعي يحظى لوسيان غولدمان و نظرياته بمكانة مرموقة بخاصّةٍ نظريتُهُ البنيوية التكوينية.

توجد ثلاثة اتجاهات سائدة فى مجال سوسيولوجيا الأدب والنقد. ومن هذه الاتجاهات هو الاتجاه البنيوي التكويني؛ يمثله لوسيان غولدمان ويعتمد هذا الاتجاه على مفهوم التماثل بين البنى الجمالية المستقلة نسبيا والواقع الذى أفرز المبدع المنتج، ووعيه الطبقي والاجتماعي ورؤيته للعالم (حمداني، ٢٠١٦: ٩-١٠).

ظهرت البنيوية اللسانية فى منتصف العقد الثاني من القرن العشرين مع رائدها فرديناند دي سوسير من خلال كتابه الشهير «محاضرات فى اللسانيات العامة» وكان الهدف من الدرس اللساني هذا التعامل مع النص الأدبي من الداخل ، وتجاوز الخارج المرجعى، وعدّه نسقا لغويا فى سكونه وثباته، وقد حقّق هذا المنهج نجاحه فى الساحة اللسانية والأدبية، وأصبح هذا الأخير أقرب المناهج إلى الأدب؛ لأنه يجمع بين الإبداع وخاصيته الأولى وهي اللغة في بوتقة ثقافية واحدة، أى يقيس الأدب بآليات اللسانيات بقصد تحديد بنيات الأثر الأدبي، وإبراز قواعد وأبنيته الشكلية والخطابية (إبراهيم، ٢٠١١» ١٧). على أنَّ لوسيان غولدمان قد ارتقى بمستوى البنيوية التكوينية، إذ توَّفر بها على دراسة الأعمال الأدبية الروائية الغربية ولاسيما الفرنسية منها بناءاً على مبادىء البنيوية التكوينية.

إنَّ الناقد والمفكّر الأدبى لوسيان غولدمان، قد اختزل كل الجهود والمحاولات النقدية مستفيدا منها في وضع نظرية خاصة تعالج اتصال العمل الروائي بمتغيرات الواقع الاجتماعي، فجهود (غولدمان) تعدّ طفرة كبرى في النقد الروائي، والأدبي

عامَّـةً (حـاجم، ٢٠١٦: ١١-١٢). وفـي بعـض الأحـايين تغلـب الرؤيـة الاجتماعيـة في دراسته الأدبية.

وقـد أفـاد غولـدمان أيضـاً مـن أطروحـات الفلسـفة الماديـة الماركسـية، والجماليـة الهيجليـة، ومحـاولات أسـتاذه (جـورج لوكـاتش) الكبيـرة فـى هـذا المجـال، إلـى جانـب معاصـرته لمـد البنيويـة الـذى سـيطر علـى أوروبـا خـلال فتـرة السـتينات مـن القـرن المنصـرم (الجرطـى، ٢٠١٤: ٣٦). إذ ربـط بـين نظريـة الانعكـاس الأدبـي التـي نـادى بهـا الماركسـيون، والتـي تؤكّـد أنّ العمـل الأدبـي يجـب أن يكـون صـورة طبـق الأصـل عـن الواقـع، ومـا ذهـب إليـه البنيويـون فـى دراسـتهم للـنص الأدبـي بمعـزل عـن محيطـه الخـارجي، ودراسـته بوصـفه وحـدةً مفـردة فـى انعـزال تـام عمـا يحـيط بهـذا الـنص (غولدمان، ٢٠١٠: ١٢).

ويُعـدُّ لوسـيان غولـدمان مـن أهـم السوسـيولوجيين الـذين جمعـوا بـين الفهـم والتفسـير فـي دراسـة الأثـر الأدبـي والثقـافي، فيمـا يسـمّى بسوسـيولوجيا الأدب والنقـد. وتسـمّى منهجيته السوسيولوجية بالبنيوية التكوينية.

والهـدف مـن هـذه المقاربـة هـو دراسـة الأعمـال الأدبيـة والفنيـة والجماليـة بغيـة تحديـد رؤى العـالم، بالاعتمـاد علـى خطـوتين إجـرائيتين متكـاملتين، وهمـا: الفهـم والتفسـير. ويعنـي الفهـم دراسـة الأثـر الأدبـي والفنـي فـي كليتـه، دون أن نضـيف إليـه شـيئا، وأكثـر مـن هـذا البحـث عـن البنيـة الدالـة والخاصـية الدلاليـة لسـلوك الفاعـل الجمـاعي. بمعنـى البحـث عـن المعنـى البنيـوي المحايـث الموجـود داخـل المـتن، أو داخـل الـنص، أو داخـل العمـل، وإضـاءة الخاصـية الدلاليـة للأثـر الثقـافى. ثـم، دمـج هـذه البنيـة الدالـة فـي بنيـة أوسـع بقصـد اسـتخلاص رؤيـة العـالم، ولـن يـتمّ ذلـك إلا بتفسـير الأثـر الأدبـي والفنـي والثقـافي بمعطياتـه السياسـية، والاجتماعيـة، والاقتصـادية، والتاريخيـة، والثقافيـة؛ وتحديـد أنمـاط الـوعي؛ الـوعي الزائـف، والـوعي القـائم (حمـداني، ٢٠١٦: ٢٥).

تنطلـق البنيـة التكوينيـة فـى منظورهـا للروايـة مـن رؤيـة مزدوجـة فهـى تعـدُّها بنيـة جماليـة وفكريـة قائمـة بـذاتها ولكنهـا فـى الوقـت نفسـه تتمتـع باسـتقلالية نسـبية؛ لأن اسـتكناه مضـامين الخطـاب الروائـي وفـك مغاليقـه لا يـتم إلا مـن ربطـه بسـياقاته الفكريـة والاجتماعيـة؛ فالبنيويـة التكوينيـة إذاً تقـول باسـتقلال المـادة الأدبيـة وارتباطهـا فـى الوقـت نفسـه بـالبنى المحيطـة بهـا وأهمهـا البنـى الفكريـة التـى تتنـاظر معهـا (الحمـدانى، ١٩٨٤: ٩) بيـد أنَّنـا لا ننكـر أنَّ جماليـة الروايـة قـد تنسـى عنـد الدراسـة الاجتماعية للعمل الأدبي.

وعضد الاتجاه البنيوي التكويني الأسس الجديدة للنقد الاجتماعي في ضوء تثمير عمليات انتماء القارئ الاجتماعية إلى تحديد آفاق القراءة وانفتاحها على فضاءات التأويل، فكل قارئ هو «أنا» يأتي من علاقات القربى ومن العلاقات الرمزية التي تحدده أيضاً، وتفتح له فضاءات البحث والتأويل، وتغوص القراءة النقدية الاجتماعية في تاريخانية اجتماعية محددة، وما تهتم به القراءة النقدية الاجتماعية هو تواصل الأشكال الأدبية مع التاريخ الذي يظهر في تاريخية الخطاب الأدبي واجتماعيته شعرياً وتخييلياً، ويوافق الاتجاه البنيوي التكويني بين عملين متناقضين ظاهرياً، بتثبيت تاريخية النصوص واجتماعيتها؛ لئلا تبخس قيمة هذه التاريخية والاجتماعية، ويفضي ذلك إلى الوعي التاريخي في البنية النصية، ويكشف عن المعنى وما وراءه في هذه البنية. وتكمن خلاصة الاتجاه البنيوي التكويني في إضاءة نظرية العلاقة بين الأدب والمجتمع بتقدير البنية ومحتواها (عدة مؤلفين، ١٩٩٧: ١٦٥-٢٠٨).

وفى هذه الدراسة اخترنا خمس روايات للملكة العربية السعودية كتبها رجال و نساء من هذه البلاد، والموضوع الرئيس لهذه الروايات هو مشاكل النساء اللائي ينتمين في الغالب إلى الطبقة المتوسّطة. هذه الروايات هى، «الاختلاس» لهاني نقشبندي، و«نساء المنكر» لسمر المقرن و«حين رحلت» لسهام مرضي و«هند والعسكر» لبدرية البشر و«أنثى العنكبوت» لقماشة العليان.

وسنوفَّر في هذا البحث على دراسة هاتيك الروايات في ضوء دراسة البنيوية التكوينية وسنسعى للإجابة عن السؤال الآتي : ما هي أهمّ السمات و مؤشّرات البنيوية التكوينية التي تُلاحَظ فى هذه الروايات التى تعالج مشاكل النساء في المملكة العربية السعودية؟.

٢-الدراسات السابقة :

إنَّ الدراسات التي بحثت على يد الدارسين العرب فى موضوع نظريات لوسيان غولدمان الاجتماعية وخاصّةً نظريته الأكثر انتشارا فى العالم فى حقل النقد الاجتماعي والأدبي في زمن واحد هي البنيوية التكوينية، على قسمين رئيسيين : الأول الدراسات النظرية و الثاني الدراسات التطبيقية التى قامت بدراسة الأعمال الأدبية، وفي كلا الحقلين نواجه نماذج؛ من هذه الدراسات،فمن الدراسات النظرية على سبيل التمثيل: أطروحة الدكتوراه «الاتجاه الاجتماعي في النقد الروائي في المغرب العربي (دراسة فى نقد النقد)» على يد أنيسة أحمد الحاج (٢٠١٥-٢٠١٦) فى جامعة وهران التى أفردت قسما ملحوظا من الأطروحة للبنية التكوينية

و نظرية الرواية عند لوسيان غولدمان، وجميل حمداوى فى كتابه «البنية التكوينية بين النظرية والتطبيق» (٢٠١٦) ،إذ قام بالبحث فى موضوعات عدّة من البنيوية التكوينية من مثل روافدها وبدايتها عند جورج لوكاتش وتنظيرات غولدمان للبنيوية التكوينية وواقع البنيوية التكوينية فى العالم العربي وغير ذلك، وعباس محمد رضا البياتى وإيناس كاظم شنبارة الجبوري في مقالة «عتبات البنيوية التكوينية ونقاط انطلاقها» (٢٠١٦). أمَّا الدراسات التطبيقية للبنيوية التكوينية فمنها على سبيل المتمثيل أيضاً : «البنيوية فى المنجز النقدى المعاصر كمال أبى ديب أنموذجا» (٢٠١٥– ٢٠١٦)، وأطروحة الماجستير للشيخ نور المهدى. كتاب «آليات البنيوية التكوينية من خلال كتاب ظاهرة الشعر المعاصر فى المغرب لمحمد بنيس» (٢٠١٤–٢٠١٥)، ومقالة «النقد السوسيو بنائي فى الجزائر» (٢٠٠٦) وغير ذلك من الدراسات. وينماز بحثنا ذا من غيره من الدراسات في توفره على دراسة مشاكل النساء في المملكة العربية السعودية في ضوء جملة من الأعمال الروائية في هذا البلد ،وذلك على وفق نظريات غولدمان الاجتماعية ،وبخاصَّة (البنيوية التكوينية منها)، وهو ما لم أجد له نظيراً في كثير من الدراسات ؛ ومن ثَمَّ فإنَّي سأعرض لهاتيك الروايات بحسب مبادئ نظرية البنية التكوينية لغولدمان ، وفي ذلك في ضوء ما يأتي :

٣–١– التشيؤ في الروايات:

يعدّ النشاط النظري والنقد الإجرائي للوسيان غولدمان امتدادا طبيعيا للإرث الذي تركه جورج لوكاتش فيما يتعلق بمفاهيم البنية والشكل والنظرة ومفهوم التشيّؤ،إذ عدَّ ذلك كله منطلقات لتحليل الأعمال الأدبية والكشف عن التصورات الفكرية التى تحملها وكذا علاقتها ببنية تكوينها، وهذا على وفق منهجه الجديد الذي يسمّى البنيوية التكوينية، وقد أصرّ غولدمان على أنه ينبغي للناقد أن يرى العالم من زاوية أكثر وعيا وإسهاما فى تعديل الفكرة الغائبية التي أتت بها البنيوية الشكلية، وهي تغييب الأديب والناقد والإنسان عن المجتمع والتاريخ، بمعنى أنّ الأدب ليس له علاقة بالأمور الاجتماعية؛ ومن ثَمَّ أراد غولدمان أن ينهض بتلك التصورات راسما لنفسه خطى يسير عليها بشكل أكثر إيجابية (خرشوش و رناتى، ٢٠١٤/٢٠١٥: ٤٠). لأنَّ لمفهوم التشيؤ قوة كامنة لرؤية سلبية تجاه ما يجري فى النص. لدى غولدمان، في مرحلة رأسمالية التنظيم يتحول البطل إلى ضد مستسلم لقيم المجتمع من البداية وغير قادر على المواجهة، ويعيش حالة من الاغتراب المطلق والتشيؤ (أحمد الحاج، ٢٠١٦: ٢٣).

إنَّ نظرية التشيؤ تدور حول اختفاء الشخصية اختفاءا تاما بحيث يحل الشيء مكانها وهو ما أطلق عليه غولدمان ذوبان الشخصية، وحدّد لذلك مرحلتين؛ الأولى انتقالية، إذ : «أدّى اختفاء أهمية الفرد خلالها إلى محاولات استبدال السيرة بوصفها مضمونا للمبدع الروائى بقيم هى وليدة إيديولوجيات مختلفة؛ لأنه إذا كانت هذه القيم قد بدت في المجتمعات الغربية أضعف من أن تولد أشكالا أدبية محضة، فإن بوسعها على وجه الاحتمال أن تقدم تتمة لشكل موجود فى الأصل، وكان على وشك أن يفقد مضمونه القديم، أمَّا المرحلة الثانية: التي تبدأ على وجه التقريب مع كافكا لتصل إلى الرواية الجديدة المعاصرة والتي لم تكتمل بعد، فتتميز بالكف عن جميع محاولات استبدال البطل الاشتراكي والسيرة الفردية بواقع آخر وبالجهد من أجل كتابة رواية غياب الذات وعدم وجود أى بحث يتقدم (وهيبة، ٢٠١٥: ٢٦).

ومن ذا نفهم أنْ غولدمان قد حاول أنْ «يطابق بين حقبتين كبيرتين فى تاريخ الأشكال الروائية وبخاصَّة المرحلتان الأخيريتان من تأريخي الاقتصاد والتشيؤ بالمجتمعات الغربية، فترك بذلك للواقع الإنساني، فرصة التعبير عن النفس؛فاحتذى بذلك حذو استاذه لوكاتش الوفي للمنظومة الأرسطية في تأكيده ضرورة الحفاظ على وجود البطل داخل النص وإحلاله المكان الملائم له (بارت، ١٩٩٣: ٦٣، ٦٥).

ومن مصاديق التشيؤ فى الروايات مايأتي:

الأسر المتحفّظة فى المملكة العربية السعودية، يجبرون بناتهم على الزواج ويخالفون ما تراه مناسبا لمستقبلها، وهذا يعني أن الشخصية النسائية تذوب فى المجتمع وليس لها وزن وهذا مصداق اختفاء الشخصية اختفاءاً تاما:

ومن ذلك أيضاً ما ورد في رواية (الاختلاس) لهاني نقشبندي ،إذ جاء فيها :«في جامعتها الباريسية، تعرّفت إلى رجل من خارج بيئتها، وثقافتها، ومذهبها. نشأت بينهما قصة حب، فأخبرت أهلها أنه يطلب الزواج بها. ثار أهلها رافضين زواج ابنتهم السنية من رجل شيعي، وأرسلو شقيقها الأكبر لإعادتها، فلاحاجة للدراسة بعد اليوم. أخبرت شقيقها أنها لم تختَرْ زوجها الأول بل هم من اختاروه لها، ومن حقها هذه المرة أن تكون صاحبة الاختيار.» (نقشبندي، د ت: ٧٦).

معاملة المرآة على انها سلعة :

إنَّ النظر إلى المرأة على أنها سلعة قابلة للبيع والشراء مثل السيارة مناظرٌ للتشيُّؤ؛ لأن هذه الرؤية تحوّل المرأة إلى سلعةٍ كغيرها من السلع يمكن أنْ تقاس

بمقاييس السوق في عالمنا الحديث؛ ومن ثمَّ تذوب شخصيتها في معايير غير إنسانية .

بريدة (اسم مدينة) امرأة مباعة منذ ذلك الحين وحتى الآن لم أكن سوى مباعة لأبي حامد أنا أيضا(مرضي، ٢٠١١: ١٧ – ١٨).

-إحساس المرأة بأنها صدقة منحت بلامنة:

هنا تقول الشخصية إنَّها في نظر أبيها تحوّلت إلى مجرّد منحة بيعت لشيخ هو صديق والدها.

:«منذ أن وجدت نفسي صدقةً منحت بلا منة من أبي لصديقه المريض انكببت على الانترنت وأفدتُ من شهادتي في البرمجة للعمل كسكرتيرة» (نفس المصدر: ١١). وهذا هو التشيؤ نفسه الذي يرى المرأة شيئا يمكن منحه صدقةً.

-عدم السماح للبنات بالتعلّم:

لا يسمح للبنت بالدراسة ؛لأن المجتمع الذكورى لا يقيم لها وزنا، وهذا يعني أنه ليس لها شخصية ، وأنَّ على المرآة في مجتمعٍ مثل ذا أن تذوب في الشؤون التي تخصّها فحسب أي تكون في خدمة الرجل؛ وهذا تعبير آخر عن تحوّل المرأة إلى الشيء.: «كنت أتنصت على خالي عبد الله، ومحمد أخي من أبي، وهما يقرآن دروسهم» في مجلس البيت في قريتنا، وأسمع ما يرددونه وأحفظه. حفظت الأرقام والحروف وبعض الجمل،ولكن محمد ضبطني يوما وأنا أستخدم محبرة الفحم وأكتب الحروف بخط جميل على اللوح الخشبى فشدّ ضفيرتي حتى كاد يقطعها ورمى بي بعيدا عن المجلس، وقال لي: إن رأيتك تدخلين هنا مرة أخرى قطعت رجلك.» (البشر، ١٣٢٠، ٥٨).

-المرأة للمتعة فقط عند الرجال :

إنَّ الاعتقاد بأن المرأة قد خلقت لكي تعطي الرجل المتعة تعبير آخر عن النظر إلى المرأة بوصفها شيئاً.

«يعتقد منصور أن الرجل لا يجب عليه أن يتورط في علاقات عميقة مع الحريم، فالنساء في عرفه قد خلقن للمتعة، وليس للحب.» (نفس المصدر، ١٤١)

٣-٢- البطل الإشكالي في الروايات :

لم يتوقف غولدمان عند حدود تمثل مفاهيم أستاذه وتطبيقها في مقارباته للنصوص الروائية وإنما تمكن من تطويرها وتعميقها، وهذا ما يتضح لنا في مفهومه للبطل الإشكالى، الذي يتخذ صورا عدَّه بتطور المجتمع الرأسمالي فهو

إشكالي لأنه لا يعرف الانتصار و مع ذلك يستمر فى المقاومة فى مرحلة الرأسمالية الفردانية؛ غير أنه بتحول المجتمع الرأسمالى إلى مجتمع رأسمالية الاحتكارات تزول أي أهمية جوهرية للفرد وللحياة الفردية داخل البنى الاقتصادية (أحمد الحاج، ٢٠١٦: ٢٣).

ورد هذا المفهوم عند جورج لوكاتش فى نظرية الرواية، وهذا البطل ليس سلبيا ولا إيجابيا ، فهو بطل متردد بين عالمي الذات والواقع ، يعيش تمزقا فى عالم فض؛ حيث يحمل البطل قيما أصيلة يفشل فى تثبيتها فى عالم منحط يتبعه التشيؤ، والاستلاب، والتبادل الكمي؛ ولذلك يصبح بحثه منحطا لا جدوى منه ، ويصبح هذا البطل مثاليا عندما يكون الواقع أكبر من الذات كرواية (دون كيشوط) لسيرفانتيس، ورومانسيا عندما تكون الذات أكبر من الواقع ، وخاصة في الروايات الرومانسية؛ ويكون كذلك بطلا متصالحا مع الواقع عندما تتكيّف الذات مع الواقع ، ولاسيما فى الروايات التعليمية. وهذا التصنيف أساس نظرية الرواية لجورج لوكاتش، وقد أفاد منه لوسيان غولدمان كثيرا، وخاصة فى كتابه (الإبداع الثقافي في المجتمع الحديث) الذى يقول فيه عن هذا البطل (حمداوي، ٢٠١٦: ٣١-٣٢): «يتمتع هذا الشكل –رواية البطل الإشكالي– بوضع خاص فى تاريخ الإبداع الثقافي: إنها حكاية البحث المتدهور لبطل لا يعى القيم التي يبحث عنها داخل مجتمع يجهل القيم، ويكاد ينسى ذكراها تقريبا. فالرواية، ربما، كانت الأولى بين الأشكال الأدبية الكبيرة المسيطرة فى نظام اجتماعى، والتي حملت، فى جوهرها، طبيعة نقدية... (نقلا عن الدرّاج، ١٩٩٩: ٤٠). ويضيف أيضا «من خلال بحثه المضطرب ينتهي البطل إلى وعي إستحالة الوصول وإعطاء معنى للحياة (نفس المصدر: ٤١).

إذاً، ليس البطل الإشكالي بطلا إيجابيا مثل البطل الملحمي الذى نجده فى الإلياذة أو الأوديسا لدى هوميروس، حيث تتحقق الوحدة الكلية بين الذات والموضوع، بل هو بطل يعيش اضطرابا مأساويا ، ومأزقا يجعله يتردد بين الذات والموضوع، وبين الفرد والجماعة؛ومن ثمَّ يفشل فى تحقيق أهدافه وقيمه الأصيلة فى مجتمع لا يعترف بالقيم الكيفية، ولا يؤمن إلا بقيم التبادل والسلع والمعايير المادية. وعلى العموم، ينطلق لوسيان غولدمان، على المستوى المنهجي، من المنهجية البنيوية التكوينية. ويعني هذا المصطلح وجود مفهومين أساسيين وهما: البنية من جهة، والتوليد أو التكون من جهة ثانية، والمقصود بهذا أن للأدب بنية جمالية وفنية مستقلة بنفسها،وقد بيّن أن هذه البنية تخضع لصيرورة تطورية تاريخية

أو دياكرونية تتماثل مع تطور المجتمع فى مختلف بناه السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والتاريخية وقد وضّح غولدمان منهجيته النقدية، بشكل جيد، فى كتابه، (من أجل سوسيولوجيا الرواية)؛ إذ بيّن أن الرواية عبارة عن بحث منحط عن قيم أصيلة فى عالم منحط بدوره. وهذا يعني أن ثمة بطلا إشكاليا يتردد بين الذات والواقع، يحمل قيما أصيلة، ولكنه يفشل فى تحقيقها في الواقع المنحط؛ ولذلك، يصبح، هذا البطل مثاليا وشخصية غير منجزة، عندما ينهزم أمام شراسة الواقع؛ ويكون رومانسيا عندما يكون وعيه الذاتي أكبر من الواقع؛ ويكون بطلا متصالحا مع الواقع الموضوعى، عندما يفرض عليه الواقع الشرس منطق التكيف والتأقلم لتحقيق التوازن النفسي والاجتماعي (حمداوي، ٢٠١٦: ٣٢-٣٣).

إن اختزال القيم الأصيلة واختفاءها يحول الرواية عند غولدمان إلى قصة تبحث عن قيم أصيلة بصيغة متدهورة وفى مجتمع متدهور وهو يستمد مفهومه للرواية من رؤية لوكاتش لها ،إذ يعدُّها أهم شكل أدبي يمظهر عالما لا يعرف الإنسان فيه أغريب هو أم أليف، وهذا ما يجعله بطلا إشكاليا مجنونا أو مجرما ؛ لأنه يبحث دائما عن قيم مطلقة من دون أن يعرفها ويعيشها بامتلاء من دون أن يستطيع بوساطة هذا تقريبها (غولدمان، مقدمة الأنطاكى، ١٩٩٦: ٢٨).

وبناءاً على ما مضى عن البطل الإشكالي في نظريات لوسيان غولدمان يتضحُ أنَّه متأثرٌ بأستاذه جورج لوكاتش، في تناوله البطل الإشكالي في الروايات.

فى رواية«الاختلاس» لهاني نقشبندي،إذْ تبحث بطلة الرواية في مشروع بحثٍ لها عن الخيانة فى المجتمع وتبذل قصارى جهودها للتعبير عن جذور الخيانة لدى النساء فى المملكة العربية السعودية التي تكمن فى معظم الأحايين فى عدم اهتمام الرجال بزوجاتهم. ولتحقيق هذا المشروع تعتمد على رئيس تحرير مجلَّة تخصّ شؤون النساء ،وهو مواطن يعيش فى لندن ، وقد وعدها أن يطبع مقالتها فى هذا الشأن، ولكنَّهُ فى اللحظات الأخيرة، يقوم بالرقابة وجرح مقالتها بحيث يغيّر جوهرها ويدمّر أثرها. بطلة الرواية، سارة، تبحث عن قيم أصيلة في المجتمع ،وقد تمثَّل بحثها ذا في عدم مبالاة البعول بزوجاتهم ، وفي هذا الشأن تجهد جهدا حثيثا ولكن فى نهاية المطاف تفهم أنَّ جهودها قد انهدرت وتبوء بالفشل؛ بسبب وجود قيم أخرى فى المجتمع متناقضة مع القيم الأصيلة. وعلى هذا الأساس، تدرك سارة بوجود بونٍ شاسع بين الذات والواقع وهذا يجعل سارة بطلة إشكالية.

ومن ذلك أيضاً رواية «هند والعسكر» لبدرية البشر، إذ نجد أنموذجاً آخر للبطل الإشكالى وهو هند. لأن هند امرأة هادفة منذ الطفولة تسعى لكى تصنع

عالما مثاليا، ولهذا تلجأ إلى عالم الأساطير مثل سندريلا والأمير وتجعل شابا في جوارها في مكانة الأمير الذي يريد إنقاذها مثل إنقاذ سندريلا ولكن فى الخطوة الأولى الابن يقصد الاستغلال الجنسى، وهذا الحدث يدمّر واقعا تفكّر هند بأنه كان ممكنا بيد أنَّ جهودها باءت بالفشل؛ومن ثمَّ أدركت البعد البعيد بين الذات والواقع. وعندما تكبر هند وتتزوج وتطلق، تسعى لإقامة قيم أصيلة مثل استقلال المرأة، واعتراف العوائل بالحب وعدم خشونة الشبان تجاه الشعب ولاسيما النساء، على أنَّ هجرتها فى نهاية الرواية تعبير قصصي عن فشلها فى تحقيق هذه القيم.

لا يمكن دراسة سائر الروايات أى «حين رحلت»، «نساء المنكر» و«أنثى العنكبوت» من وجهة نظر البطل الإشكالي؛ لأن أبطال هذه الروايات شخصيات منفعلة لا تسعى لتغيير الأمور وتمكين قيم أصيلة فى المجتمع ، بخلاف ما نجده في روايتي «الاختلاس» و«هند والعسكر» ؛ إذ إنَّ بطلتي هاتين الروايتين شخصيتان فعالتان ، وتسعيان جهدهما لتكريس القيم الأصيلة على الرغم من أن جهودهما قد باءتْ بالفشل.

وبناءاً على ذلك يتضح أنَّ الروايات التي تعالج ظلم النساء يجب أن تكون لها شخصيات فعّالة تبذل قصارى جهودها في مكافحة الظلم أو التخفيف منه قدر الإمكان. وعلى الرغم من إخفاق البطلتين في تحقيق ما يصبوان إليه فأنَّ بصلتي روايتي (الاختلاس)و(هند والعسكر) قد أكَّدتا للنساء أنَّ الكفاح أفضلُ من الانفعال ؛ ومن ثمَّ ضرورة أنْ النساء الفعَّالية وأنْ تبتعد عن الأنفعال. وبناءاً على نظرية لوسيان غولدمان فإنَّهُ من الأفضل أن تكون شخصيات الروايات التى تتطرّق إلى قضية النساء من الأبطال الإشكاليين لا الشخصيات التى تقبل الظلم بالسهولة. واثنتان من الروايات التي هما من هذا النوع من الأبطال .

٣-٣- العمل الأدبي في البنيوية التكوينية هو نتاج الطبقة الاجتماعية لا الفرد:

لا يمكن الحديث عن علاقة الفن الروائي بالتاريخ الموضوعي والواقعي بل بواقع محتمل، لأن العمل الروائي (في المنظور البنيوي التكويني) نتاج لرؤية العالم التي تختلف عن التصورات الأخرى، فالفرد عند غولدمان «ليس فى إمكانه أن يضع من تلقاء نفسه بنية ذهنية منسجمة تدعى عادة برؤية العالم ؛ فهذه البنية لا يمكنها أن تكون إلا من إبداع الجماعة، فالفرد يمكنه فقط أن يرتفع بها إلى درجة عالية من الانسجام بتحويلها إلى مستوى الإبداع الخيالي أو مستوى الفكر النظري (أحمد الحاج، ٢٠١٦: ١٨١).و بعبارة أخرى، أنَّ لوسيان غولدمان قد رفض الفكرة التى ترى النصوص الأدبية إبداعات لعبقرية فردية، فهو يرى أن النصوص الأدبية

تقوم على أبنية عقلية تتجاوز الفرد وترجع إلى جماعات أو طبقات (وائل، ٢٠٠٨: ٨٧). وهذا يعني أن غولدمان لا يقول بعبقرية الفرد فى إنتاج العمل الأدبى بل يراه من صنع الجماعة التي الفرد المبدع ينتمي إليها.

وعندما يتحدّث لوكاتش وغولدمان عن الوعي القائم والوعي الممكن اللذين يندرجان تحت الخطوات الإجرائية للبنيوية التكوينية، ندرک إنَّ العمل الأدبي نتاج الوعي الجماعي،وقد قيل في هذا المفهوم ممَّا يشترک فيه غولدمان مع أستاذه جورج لوكاتش، وقد جاء عند هذا الأخير فى مؤلّفه (التاريخ والوعي الطبقي)، أمّا غولدمان فيعترف بصعوبة تحقيق معنى هذا العنصر؛ ذلك أن غولدمان يرى أنّ الوعى القائم هو إدراک فئة اجتماعية ما لوضعها الراهن، والوعي يكتفي أن يصف دون أن يعمل على التغيير (نفس المصدر: ٥٤). إذ إنَّ «مجموع التصورات التى تملكها جماعة ما عن حياتها ونشاطها الاجتماعي سواء فى علاقتها مع الطبيعة أم مع الجماعات الأخرى (الحمدانى، ١٩٨٤: ٦٩). وبناءاً على هذا يمكن القول إنَّهُ توجد صلة وثيقة بين الوعي الجماعي والعمل الأدبي، وخلاصة الكلام أنَّ القاصّ أوالروائي فيما يرى غولدمان ليس هو من يصنع الرواية أو القصة بل إنَّ هذا القاص أو الروائي الذي ينتمي إلى طبقته الاجتماعية متأثرا بهذا الوعي الجماعي؛ومن ثمَّ يوجد العمل الأدبي.

كل من الروايات المدروسة أى «الاختلاس»، و«نساء المنكر» و«حين رحلت» و«هند والعسكر» و«أنثى اللنعكبوت» تروى لنا قصصاً عن نساء ينتمي معظمهنَّ إلى الطبقة المتوسّطة فى المملكلة العربية السعودية،وقد تمّت رواية هذه الشخصيات متأثّرة بمبادىء المذهب الواقعى، وهذا يعني أن الروائيين سردوا لنا قصصا واقعية ،بقطع النظر عن كونها نتاج تجارب شخصية أو ذكريات الآخرين أو أن تكون من صنع الخيال، وعلى كل حال فإنَّ لهذه القصص نزعة واقعية، وكل رواية تسرد لنا قصص نسوة ينتمين إلى الطبقة المتوسّطة اللاتي تتعرّضن لظلم الحكومة أو الرجال الظالمين وليست راوية قصة امرأة معيّنة ، وإنَّما بطلة كل رواية رمزٌ للطبقة الاجتماعية التي تنتمي إليها؛ وبناءاً على هذا، وعلى وفق رؤية لوسيان غولدمان في هذا الصعيد، كل روائي أو روائية استلهم قصة روايته من أحداث طبقته الاجتماعية وعبّر عمّا طرأ عليها لا يمكن أن تُعدَّ روايتُهُ من نتاجه هو وإنَّما هي نتاج الجماعة وليس للعبقرية الفردية أثرٌ يذكر فى هذا الشأن، وعلى كل حال، فإنَّ فالفنّان مدين لطبقته الاجتماعية حتى عند إنشاء العمل الأدبي.

٣-٤- مكانة المضمون في الروايات بناء على رؤية غولدمان للنص :

قيل في نظرات لويسان غولدمان الاجتماعية أنّ البنيوية تهمل المعنى وإن كانت تسلم بأن النص متعدد المعاني (تاوربريت، ٢٠١٠: ٩٣). ولوسيان غولدمان لا يكتفى بما هو «داخل النص» وإنما يستعين بما هو خارجه سواء أكان واقعاً اقتصادياً أم اجتماعياً؛ وذلك من منطلق أن للعوامل الاقتصادية والاجتماعية تأثيرا كبيرا في الإبداع الأدبي، وهي نظرة واضح ما بها من تأثّر بالماركسية، لكنها يتمايز عنها فى أنه يحذر من خطر المغالاة فى أثر هذه العوامل، فهذا التأثير لا ينظر إليه على أنه عقيدة ، وإنما هو فرضية تكتسب صلاحيتها بمقدار ما هنالك من تأييد لها فى الواقع ، وهدف البنيوية التكوينية هو الوقوف على الرؤية للعالم في هذه الأعمال ومصطلح «رؤية العالم» له أهمية كبيرة عنده، وهو يعني وجهة النظر الملتحمة والموحدة إزاء مجموع الواقع (وائل، ٢٠٠٨: ٨٧). أما داخل النص يعني شكل الرواية وما يرتبط به، وأمَّا خارج النص فيعني الشؤون التى تخصّ المجتمع وانعكاس هذه الشؤون فى الرواية وهو ينتدرج تحت مضمون الرواية. «فقد ربط لوسيان غولدمان بين نظرية الانعكاس الأدبي الذى نادى بها الماركسيون، والتى تؤكّد أنّ العمل الأدبي يجب أن يكون صورة طبق الأصل عن الواقع، وبين ما ذهب إليه البنيويون فى دراستهم للنص الأدبي بمعزل عن محيطه الخارجي، ودراسته كوحدة مفردة فى انعزال تام عما يحيط بهذا النص (غولدمان، ٢٠١٠: ١٢). وعلى الرغم ممّا قيل عن جهود غولدمان في إقامة علاقة قائمة على التناقض أي الربط بين العمل الأدبي في أن يكون انعكاسا للواقع وأن يكون بمعزل عن المحيط الخارجي في الوقت عينه ، فإنَّ ما يعنينا هنا في هذه الدراسة، هو أنّ العمل الأدبي انعكاسٌ للواقع بيد إنَّهُ أيضاً من وجهة نظر أخرى وحدة مفردة يجب عزلُها تماماً عما يحيط بالنص. وهذا يعني أننا يجب أن ننظر إلى كل شطر من هذه المقولة في مكانه لا فى زمن واحد. وخلاصة القول هو أن الأثر الأدبي انعكاس للواقع الذي يطرأ على المجتمع ؛ ولهذا يجب على الدارس أن ينظر إلى الفحوى الاجتماعية للعمل الأدبي أكثر من شكله؛ بناءا على مذهب البنيوية التكوينية في ترجيح المضمون على الشكل. وقد قيل في البنيوية التكوينية إنَّها « تناظر دائما في كل عمل إبداعي، ولاسيما الروائي بين واقعه وموضوعه، بين بنية (شكلية) ظاهرة، وبنية (موضوعية) عميقة، بين اللحظة الاجتماعية والتاريخية، واللحظة الإبداعية، بين سياقية الجدل الروائي وسياقية الجدل الاجتماعي (الحمداني، ١٩٨٤: ص ب). وفى الخطوات الإجرائية للبنيوية التكوينية تمّت تسمية هذا التناظر بالتماثل. أي التماثل بين العمل الأدبي والواقع الخارجي.

وإذا ما نفسّر رواية اجتماعية بناءا على نظريات غولدمان ف إنَّنا نبدأ عملنا بدراسة المضمون ثمّ الشكل، وهذه أحدى ميزات مقاربة غولدمان إلى الرواية. ففي هذه النظرة إلى الرواية يستهلّ المضمون قائمة أولويات الناقد ولاسيّما الناقد الاجتماعي الذي ينقد الرواية بناءاً على رؤية غولدمان، وهذا الأمر ربّما يوجد لنا تصوراً أن الشكل في نظرية غولدمان ليس له أهميّة. وهو تصور خاطئ؛وذلك أنَّ الاهتمام بالمضمون الاجتماعي في العمل الروائي في نظريات غولدمان لا يعني أن الكاتب الاجتماعي يستطيع أن يستوعب في روايته كل ما يخطر على باله في أي مستوى فنّي، بل معناه أن الرواية الاجتماعية في نظر غولدمان روايةٌ فيها حيّز ملحوظ للرؤية الاجتماعية أي يجب أن تكون فيها مكانة مرموقة للقضايا الاجتماعية وإن كانت خالية من التقنيات القصصية الراقية، وإذا كانت في الرواية خصائص قصصية ترقّى مستوى الرواية ،وهذه التقنيات تقدر على التعبير عن النوايا الاجتماعية للقاصّ بشكل أفضل ولكن إنْ كانت الرواية خالية من هذه التقنيات فلا بأس بها وبعبارة أخرى أنَّ خلوّ الرواية من التقنيات القصصية لايخرجها من دائرة الرواية الاجتماعية ولكن خلوّها من القضايا الاجتماعية يخرجها من دائرة الرواية الاجتماعية ؛ ومن ثمَّ لا يكون مكان في دراسة وتحليل غولدمان.

رأينا مصطلح الرواية الاجتماعية وهذا يجبرني على إبراز تعريف للرواية الاجتماعية لأنّ للرواية الاجتماعية ونظريات غولدمان إزاء الرواية صلة غير قابلة للانفكاك، وقد قيل في تعريفها: «الرواية الاجتماعية هي رواية أدبية خياليّة تُناقش في قصّتها عبر شخصيّات الرواية مشاكل إجتماعية سائدة في العصر والثقافة التي كُتبت فيها، مثل الجنس والدين والعرق والطبقة الاجتماعية والعنصرية وما إلى ذلك وقد تُناقش الروايات الاجتماعية مواضيع أعقّد من ذلك مثل العَمل وعمالة الأطفال والفقر والعبودية والعنف ضد المرأة وارتفاع نسب الجريمة. كما يُمكن أن تناقش الرواية الواحدة أكثَر من موضوع واحد» (موسوعة بريتانيكا، ٢٠١٢: ٤ نوفمبر). وأعتقد أنه من الأفضل أن تتمتع الرواية الاجتماعية بمواصفات عالية من التعبير القصصي، أي تكون فيها تقنيات مأخوذة من الأدب الكلاسيكي العربي والشرقي بما فيها من تراث قيّم وفضلا عن ذلك أن تكون متمتّعة بالتراث القصصي الغربي ولا سيما في القرنين التاسع عشر والعشرين، على نحو ما نجده في فرنسا وروسيا وإنجلترا وأميركا ؛إذ إنَّ هذه الدول ملأى بروايات تتميّز برؤية اجتماعية، ومن الأهمية بمكان أن يقال أيضاً إنَّ الاجتماعية المتمتعة بالتقنيات القصصية بأمكانها التعبير عن النوايا الاجتماعية أكثر من رواية اجتماعية بحتة.

ومن الموضوعات التي تناقش أيضاً فى الرواية الاجتماعية العنف ضد المرأة والجنس وما يرتبط بهذين الموضوعين ،فالاعتداء الجنسى مثلاً أحد مصاديق العنف ضد المرأة ولا سيما البنات الصغيرات اللائى لم يبلغن سنّ البلوغ بعد: «أخبرتني عموشة ذات مساء، وقد داهمها الضيق، عن ذلك الشاب، جار جدي، الذي لحق بها يوما عند بستان عمها جعبان.

كل رجال القرية أعمامها، لا تجرؤ على مخالفتهم، ويحقّ لكل عم ها أن يخبطها على رأسها أو يلاحقها بغزل مستتر أو يدسّ يده فى فخذها، وهي تفرّ هاربة منه خوفا من والدتها التي تعاقبها لو اشتكت من هؤلاء الأعمام البذيئين» (هند والعسكر، ٢٠١٣: ١٧). والشيء المثير للقلق أنّ البنت لا تجرؤ على التعبير عن اعتداء تعرّضت له، وإذا ما عبّرت عنه عرّضت نفسها للخطر حتى خطر الموت. فى مجتمع تصوّرها بدرية البشر، حتى الأمهات لا تدرك مشاكل بناتهن متناسية ما جرى لنفسهنّ (راجع نفس المصدر: ٢٤).

وفى هذا المجتمع أيضاً،نجد أنَّ البنات يبُلْنَ ليلاً على الفراش خوفاً من أذى الرجال : «نجاة ليلى وزواج سندريلا كانا حدثين سعيدين فى حياتى،وقد بعثا في نفسي الطمأنينة، فتوقفت عن التبول في فراشي أثناء الليل.» (نفس المصدر، ٣٣) بطلة رواية هند والعسكر، من فضاعة الواقع تفرّ إلى عالم الأسطورة، وهناك تجد ملجأ يبعث الهدوء في نفسها. هنا اعتمدت القاصّة تقنية قصصية للتعبير عن مفهوم مرتبط بفراسة الرجال في المجتمع الذكوري، بيد أنَّها تتجنّب التعبير المباشر عن ذلك وتميل إلى التعبير الفنّي البعيد عن الدعاية والشعار، وهذا يدلّ على أن الكاتبة بجانب المضمون قد اهتمت أيضاً بالجوانب التقنية.

وفي الرواية نفسها نشاهد أيضاً التعذيب البدني للبنات: انطلقت نحوي، اصطدمت بها، عاجلتنى بجرّي من شعري، لطمتني على وجهي أمام الناسف صرخت فيما صرخت لصراخي إحدى النساء اللواتى شاهدن الواقعة، ثم سمعتهن يقلن مسكينة! (نفس المصدر، ٩٣) وبما أنّ في هذا المجتمع لا يوجد رادع للرجال كيما يحترزوا من هذه الأعمال، فإنَّ التعذيب البدني ينتهى إلى الاعتداء الجنسي بسهولة:((تعرّضت لأبشع موقف تتعرض له طفلة في مثل سني وظروفي، حينما حاول جارنا أن يغتصبني،على الرغم من أن الاغتصاب لم يتم والمحاولة أجهضت في بدايتها لعناية الله ورحمته، إلا أنه ترك نقطة سوداء في حياتي وأثرا لايمحى على الزمن... دخلت بيتنا بعد هذا الحادث ارتجف بعنف وآثار الصدمة واضحة جلية على وجهي. وجدت أبي يتحدث في الهاتف... اقتربت منه ثم بكيت

أمامه برهبة (العليان: ١٤). هنا تتعرّض بنت صغيرة السن للاعتداء والاغتصاب من رجل مسنّ ووالد هذه البنت، بدلا من أن يبذل جهده للتخفيف عن الأثر السيء الذي ترك هذا الحدث الذي لا يمحى عن ذهنها يلقي اللوم عليها ويصفعها. وهذا وظيفة تعبيرية (كما يسمّى لوسيان غولدمان الانعكاس) للواقع الخارجي في رواية «انثى العنكبوت». هذه وظيفة تعبيرية أو انعكاس لهذه العقيدة التي ترى النساء حبال الشيطان على أي حال ؛ ضحيّة كانت أو شيطانة. ونلاحظها فضلا عن ذلك في هذه الرواية: «كل هذا العزل والحجب للمرأة يبرره منصور بشيء واحد، يحفظه عن ظهر قلب، هو أن المرأة هى حبائل الشيطان، هي الفتنة والسحر، تفتن الرجل بسحرها، فيتحول فى يدها إن استجاب واستسلم لغوايتها إلى أضحوكة بين الرجال.» (البشر، ٢٠١٣: ١٤١).

فى هذا القسم من رواية «هند والعسكر»، نشاهد انعكاسا للواقع المر الذى يسمّيه غولدمان «الوظيفة التعبيرية»: تقول هند بطلة الرواية: «أنظر كل يوم إلى مسدسه الذي يعلقه على خصره وهو عائد من عمله. يدفعني جحيم رغباتي وتوقها العارم إلى الفرار من هذه البئر إلى سحب هذا المسدس من خصره وإطلاق الرصاص عليه، فأفكر بأنني أضعف من رؤية دم يسيل، حتى لون كان دم سجّاني» (نفس المصدر، ١٣٣). هنا صوّرت البطلة عشّ زوجيتها كالسجن وصوّرت ربّ هذا العشّ كسجّان وهذا تعبير بارع عن واقع تعيش فيه هي وأقرانها وانعكاس فنّي عن حال النساء في هذا المجتمع.

إنَّ العنف ضد المرأة لا ينحصر على العنف البدنى بل يتضمّن أيضاً أشكالا أخرى من العنف، ففى رواية «نساء المنكر» تمارس الحكومة رقابة شديدة على البنات والأبناء: «فمجرّد أن يشك أى عامل فى المطعم بأننا لسنا زوجين قد يعرضنا للخطر، ولا سيما أنَّه وقد جرت العادة على تجنيد عدد من العاملين فى المطاعم والفنادق والشقق المفروشة للإبلاغ عن أي حالة مشتبهة فيها على وقف معاييرهم.» (المقرن، ٢٠٠٨: ٣٨). هذا الخطر يشمل السجن والسوط والمحرومية من الشغل والحقوق الاجتماعية الحقّة بذرائع تافهة.

وفى رواية «اختلاس» نلاحظ أنَّ الشخصية تتعرّض لنوع آخر من العنف ضد المرأة؛وذلك حين تتلقّى الرقم الهاتفي من الشبان والشيوخ في السوق: «كما هي العادة، ما غادرت سارة (السوق) من دون رقم أو رقمين تطايرا عليها. كان أحدهما من فتي أصغر منها بعشر سنين في الأقل. والرقم الآخر من رجل قد تخطّى الخمسين من العمر» (نقشبندى: ١٣).

قيل إنَّ الجنس أحد موضوعات الروايات الاجتماعية، وفي رواية الاختلاس، نلاحظ أنَّ بطلة الرواية تتعرّض للوساوس الجنسية من قبل امرأة: «ودون توقّع اقتربت أسماء، التي كانت تجلس على المقعد المقابل، من الكنبة الطويلة التى تجلس سارة على طرفها، وهى تحمل كأس العصير في يدها. قالت وقد اقتربت شفتاها من أذن سارة، وصوت أنفاسها يعلو على صوت حديثها : «منذ فترة وأنا أنتظر وقتا لنجلس وحدنا دون أحد» (نفس المصدر، ٢١). هذا القسم من رواية «الاختلاس» لهاني نقشبندي، له وظيفة تعبيرية على حد تعبير لوسيان غولدمان؛ إذ إنَّه يُعدُّ انعكاساً للميول الشاذّة في بعض النساء في المجتمع الذي يصوّره نقشنبدي، وهذه الأميال الشاذّة ناجمة عن أوضاع تحمل النساء على الأميال الخارجة على ناموس الطبيعة. تعدّد زوجات الرجل وعدم اهتمامه بزوجته يؤدّى إلى شعور المرأة بالنقصان، وهذا يجرّها إلى إبداء ردّ الفعل وخوف المرأة من أعراض خياتنها عبر الميل إلى رجل آخر، يحملها إلى خيار أقل خطرا وإحدى هذه الطرق الميل إلى النساء.

ومن أشكال العنف ضد المرأة أيضاً سماح المجتمع الذكورى بضرب زوجته وهذا الضرب في معظم الأحيان يعرّض المرأة لأخطار جسيمة: «ومضت أشهر طويلة قبل أن يتّضح لى أن بدرية ليست سعيدة فى زواجها وأن زوجها سكير عربيد دأب على ضربها طوال حياتها معه حتى حملت وأجهضت.» (العليان، ٢٠٠٠، ١٣) وحتى في هذه الحالة ليس للمرأة حقّ للشكاية وأول من يخالفها لانتزاع حقّها هو والدها كما نرى فى هذه الرواية.

وبناءاً على ما مضى، يمكننا أن نستخلص أن الروايات المدروسة فى هذه الرسالة، روايات اجتماعية،وأنَّ والمضامين الرئيسة المطروحة فيها العنف ضد النساء بجميع أشكاله من لدن الرجل المتشدّد الذي يحميه النظام الذكوري ؛ولمَّا كانت البنيوية التكوينية –وهي نظرية اجتماعية في حقل الادب –تهتم بدراسة روايات تخصّ القضايا الاجتماعية فقد تمّ اختيار روايات مناسبة للدراسة على وفق رؤية لوسيان غولدمان للرواية، فضلا عن ذلك، نلاحظ فى هذه الروايات انعكاسا للقضايا الاجتماعية أو كما يسمّيه لوسيان غولدمان الوظيفة التعبيرية، وهو ما يندرج فى صلب البنيوية التكوينية؛ لأنّ معظم هذه الروايات وسيلة للتطرّق إلى القضايا الاجتماعية وانعكاس هذه القضايا عبر قالب قصصى،ويزادُ على ذلك أيضاً أنَّنا نجدُ في هذه الروايات تناظراً بين البنيتين الشكلية والموضوعية ،وهذا

يعني أنَّ هناك تناظراً مع المضامين الواقعية المدروسة فيها مع ما يجري في العالم الخارجي.

٣-٥- الواقعية فى الروايات من منظور البنية التكوينية :

كما جاء في المفاهيم النظرية، الواقعية وخصائصها إحدى السمات الرئيسة للروايات التي تتمّ دراستها عبر خصائص البنيوية التكوينية، وقد عدّ الباحث حمداوي الواقعية من الروافد التي كانت وراء ظهور النقد البنيوى التكويني في مجال الأدب والنقد،إذ قال: ((قد ساهم الأدب الواقعي كما يبدو ذلك في روايات فلوبير وستاندال وبلزاك –مثلا– في ظهور النقد السوسيولوجي الذي يربط الأدب بالمتجمع، في مختلف ترابطاته وعلاقاته المباشرة وغير المباشرة (حمداوي، ٢٠١٦: ٨).

وللواقعية في الادب معنيان ،فمرَّة يرادُ بها ملاحظة الواقع وتسجيل تفاصيله وتصويره تصويرا فتوغرافيا حرفيا، وإبعاد عناصر الخيال المجنح وتهاويله، ومرَّة يرادُ بها الحيادية أو الموضوعية التى تمنع نقل أفكار الكاتب وعواطفه ومزاجه الذاتي إلى أعماله الأدبية (النويهى، ١٩٧١: ٧٩-٨٠). ويرى بعضهم أنّ الواقعية هي تلك التي لا تهتمّ إلا بمشكلات المجتمع وحياة الشعب؛ ومن ثمَّ فإنَّ الواقعيين يمتازون بالحذر وشدة الانتباه إلى الحياة المحيطة بهم ورؤيتها مجرّدة كما هي في الواقع من غير تزييف، وهذا يُعدُّ مفهوما آخر لمصطلح الواقعية يضاف إلى بعض المفاهيم التي أشرنا إليها (بوشعير، ١٩٨٠: ٣ -٤).

الواقعية الأدبية هي تصويرٌ مبدعٌ للإنسان والطبيعة في صفاتهما وأحوالهما وتفاعلهما، مع العناية بالجزئيات والتفصيلات المشتركة للأشياء والأشخاص والحياة اليومية ولو كانت تفصيلاتٍ مبتذلة وكل ذلك ضمن الإطار الواقعيّ المألوف. إنه واقعٌ لا يشترط فيه الأمانة والصّدق في النسخ بل كلّ ما يشترط فيه "الصدق الفنيّ" وبهذا يتحوّل الكاتب إلى فنانٍ مبدع لا إلى نسَّاخ، أو كاتب تقرير... وللواقعية الأمّ خصائص تميزها من المدرستين الكلاسيكية والرومانسية:

١-النزول إلى الواقع الطبيعي والاجتماعي والانطلاق منه، أي الارتباط بالإنسان في محيطه البيئيّ وتفاعله وصراعه مع المحيط الطبيعي والاجتماعي، من هنا يستمد الكاتب موضوعاته وحوادثه وأشخاصه وكلّ تفصيلاته، إنه ينزل إلى الأرض والبشر، ويصرف نظره عما عدا ذلك من المثاليات والخياليات، وما يهمُّه هو الأمور الواقعة التي يعيشها الناس ويعانونها.

٢- حياديّة المؤلف: وهي تعني العَرْضَ والتحليل على وفق واقع الشخصيّة وطبيعة الأمور وبشكلٍ موضوعيٍ لا على وفق معتقدات الكاتب ومواقفه السياسيّة أو الدينية أو المزاجية أو الفكرية أو القيميّة؛ فالكاتب هنا لا يعدو كونه شاهداً يدلي بشهادته فحسب منطق الحوادث ومبدأ السببيّة والضرورة الحتميّة وليس كما يهوى ويريد.

٣- التحليل: أي البحث عن العلل والأسباب والدوافع والنتائج؛ فلكل ظاهرة اجتماعية سبب ؛ والظاهرة الاجتماعية كالظاهرة الطبيعيّة تخضع لمبدأ السببيّة، وللظواهر المتماثلة أسباب متماثلة...

٤- الفنيّة الواقعيّة: الفنيّة الواقعية تتمثّل في الجوانب الجمالية للواقعية؛ أولاً- فضّل الواقعيون النثر على الشعر؛ لأنه اللغة الطبيعية للناس، أما الشعر فبالرومانسية أشبه ولها أنسب؛ فاختاروا جنسي الرواية والمسرحيّة، ونالت الرواية النصيب الأوفى من أدبهم؛ لأنها تتيح مجالاً واسعاً ومرناً للوصف والإفاضة والتحليل. **ثانياً**: اللغة المأنوسة الواضحة البعيدة عن التوعرّ والتكلف من جهة، وعن الإسفاف والابتذال من جهة أخرى، المراعية لقواعد اللغة مع شيءٍ من المرونة والتسامح حين يتعلق الأمر بالطبقات الشعبية العادية البعيدة عن اجواء العلم والثقافة (الأصفر، ١٩٩٩: ١٣٨-١٤٤).

وسنعرض لسمات مذهب الواقعية في هذه الروايات ؛ لما لها من أهمية بالغة في تحليل الأعمال الروائية وتقويمها بحسب منظور البنيوية التكوينية .

وفي المرحلة الأولى ستتمّ دراسة الروايات بناءاً على السمات المذكورة للواقعية، ففي رواية «الاختلاس» على سبيل التمثيل نجدُ أنَّ الروائي يتناول شخيصة من صلب الناس بعيداً عن المثاليات والخياليات، وبطلة هذه الرواية امرأة وحيدة لها علاقة باردة مع زوجها وتكبّر ولديها لوحدتها، ولها اشتباك دائم مع أسرتها وجرّاء جمالها يجتهد كثير من الشبان والشيوخ وحتى بعض النسوان كيما يلفتوا انتباهها الجنسي. تجتهد هذه المرأة في إفشاء بعض القضايا في المجتمع مثل الخيانة الناجمة عن عدم مبالاة البعول تجاه نسوانهم، ولكن المجتمع الذكوري لا يسمح لها بإفشاء عن الحقائق، وهي شخصية ملموسة تصويرها الواقعي يساعدنا على فهم مشاكلها وقضايا تخصّها.

وفي رواية (نساء المنكر) نجد أمراً آخر،إذ تروي لنا قصة بنت كانت لها علاقة غرامية مع شاب بيد أنَّ الرقابة الشديدة في المجتمع تدمُّر هذه العلاقة، والبنت تعيش تحت أنقاض هذه العلاقة، وقد كانت في علاقتها ذي اكثر تضرراً من الابن، فالابن يتزوج والبنت تستخدم كالقهوجي في حفل عرسه، هذه شخصية -

كملاحظ- ملموسة انبثقت عن صلب المجتمع بعيداً عن الخيال المجنح ، وهذا يؤدّي إلى التعاطف معها من لدن القارىء.

أمَّا رواية «حين رحلت» فتروي لنا قصة امرأة زوّجها والدها من رجل سبعيني وهي لملء وحدتها تلجأ إلى كتابة رسائل إلى رجل مفروض وموهوم لكي تخفّف من آلامها، وبعد حين تجد فرصة لكي تراعي ابنا معاقا ولكن عندما يقرّر والد الابن تزويجه بفتاة ، تبقى هذه المرأة وحيدة مع مشاكلها وتجدّد كتابة الرسائل في موضوعات منها تزويج البنات من الشيوخ من أجل إنشاء صداقة بين آبائهنَّ وأولئك الشيوخ، الوحدة والعطالة وإقامة العلاقات الخيالية وقائع حقيقية كثيرا ما تحدث في المجتمع الذي يصوره الكاتب أي في المملكة العربية السعودية.

في تتحدَّث «هند والعسكر» عن مشاكل هند، هي فتاة تعيش تحت رعاية أمّ متشدّدة؛ لأنها عاشت تحت سلطة الأب، بدلا من أن يدفعها ذلك إلى المعاملة الليّنة مع بناتها تتشدد عليهن،وعلىالعكس من ذلك فإن الأم تحنو على الذكور من أبنائها وهذا يؤدّى إلى تربية إبراهيم أخ لهند مع نفسية مائلة إلى التطرف. زواج هند من ضابط يتهي إلى الطلاق وهند بعد مدة تعشق شابا حنونا تجاهها ولكن الظروف لا تسمح لها بالزواج الثاني وهي بإصرار أحد إخوتها تهاجر إلى الكندا، وفي هذه الرواية نلاحظ قضايا واقعية من مثل تشدّد الوالدين على البنات والتطرف المذهبى والطلاق والهجرة و.. وتحقّقت كل هذه عبر تصوير شخصيات واقعية نشأت من صلب المجتمع ويستعرض لنا التاريخ الواقعي الذي يؤثّر في شخصيات القصة، وهذا يساعد القارىء على التفاعل مع القصة والشخصيات أكثر فأكثر.

وفي رواية «أنثى العنكبوت» نسمع قصة بنت تعيش فى كنف أب متزمّت برفقة إخوة وأخوات، وهذه البنت تكبر من دون رعاية الأمّ؛ لأنها تفقد أمها وتحلّ أخت حنون محلّ الأمّ، وهي تتعرّض في فترة المراهقة للاعتداء الجنسي ويساعدها الحظ على النجاة من هذا الحدث، و تتخذ القرار لمواصلة دراستها وأخيرا تصبح معلمة فى إحدى القرى لأحد محافظات المملكة العربية السعودية، وفي الريف يراها شاب وسيم ويعشقها. يتقدم الشاب لطلب يدها ولكن الأب يرفض زواجها ويزوّجها من شيخ طاعن في السن، وبعد مدة الشيخ يبدأ بالتعامل المتشدّد مع البنت وفي نوبة جنونية تقتل البنت الشيخ والقصة تنتهي.

ويلاحظ في هذه الرواية، أنَّ الروائية تسرد لنا قصة شخصية لأفعالها حوافز بينة؛ وجرّاء الرسم الواقعي لهذه الشخصية القارىء يفهمها بالسهولة.

شاهدنا أن الروائيين في هذه الروايات الخمس كانوا ناجحين في النزول إلى الواقع المعيش والمحسوس لرسم شخصياتهم.

أمَّا السمة الثانية للروايات الواقعية التي تجعلها صالحة للدراسة بناءاً على مبادىء البنية التكوينية فهي حيادية المؤلّف، ومعظم الروايات التي بين أيدينا هي في موقف حيادي، وقلما نرى روائيا من الروائيين في هذه الروايات الخمسة يتناول مشاكل النساء في موقف مغالٍ وبعيد عن التصديق، ويمكننا الشعور بهذا الموقف الحيادي تجاه القضايا الاجتماعية ولاسيما مشاكل النساء في المملكة العربية السعودية في شواهد مستخرجة من الروايات أنفسها.

فعلى سبيل التمثيل نلاحظ أنَّ هاني نقشبندي في «الاختلاس» يستعرض عدم مبالاة الرجل بالمرأة بعيدا عن الشعار ، إذ إنَّه يقف محادياً ويكتفي بسرد الحوادث فحسب: «فكّرت سارة كيف أن الرجال لا يعرفون كم تكره المرأة أن تأتى حريتها من زوج لا يهتم متى تروح أو تأتى. اهتمامه يبدأ عندما تتحرّك غرائزه، مرة في الأسبوع أحيانا، أو مرة في الشهر غالبا، وأحيانا تغيب رغبته فيها عدة أشهر (نقشبندي، د ت:١٤).

ومن التقنيات التي تساعد القاصّ على التعبير عن القضايا الاجتماعية من دون التورّط في الشعار والمغالاة أسلوب السرد غير المباشر، أي استعراض الشخصيات حين العمل والحوار ، وكثيراً ما نرى هذا الأسلوب في الروايات المدروسة، وما يهمنا هنا أن الروائيين قد اعتمدوا هذا الأسلوب عند سرد حوادث تخصّ شؤون المرأة والنظرة المتشددّة للمجتمع الذكوري إلى النساء. وهنا نماذج من هذا الأسلوب: «استمرّت دموع غادة في الانهمار حتى عودتها. وتوقّفت يائسة عندما قالت لها والدتها: ما عندنا بنات مطلّقات. منذ أن علقت هذه العبارة بذهن غادة عاشت لتطبّقها وليس لتطبيق قانون الحياة الإنساني. أخذت على عاتقها أن تعيش لئلا يكون في أسرتها مطلقات.» (المقرن، ٢٠٠٨، ٨).

أمَّا رواية «هند والعسكر»: فقد «سردت لنا قصة الرجل الذي ماتت ابنته يوما، فذهب ودفنها في المقبرة، ولكنه حين عاد إلى البيت، اكتشف أن مفاتيح سيارته قد سقطت منه في قبر ابنته ليستيعد المفاتيح، وحين فتح القبر، وجد النيران تشبّ، فحسب، فى مكان خيوط المشدّ على صدرها، فعرف الناس أن هذا عقاب الله للبنت التي كانت تلبس المشدّ الصدرى» (البشر، ٢٠١٣: ٢٦ – ٢٧).

وفي هذا القسم من الرواية نلاحظ كيف كانوا يحرمون البنات من الدراسة بذرائع تافهة: «كنت أتنصت على خالي عبد الله، ومحمد أخي من أبي، وهما يقرآن

دروسهم في مجلس البيت في قريتنا، وأسمع ما يرددونه وأحفظه. حفظت الأرقام والحروف وبعض الجمل، ولكن محمد ضبطنى يوما وأنا أستخدم محبرة الفحم وأكتب الحروف بخط جميل على لوح الخشبى فشدّ ضفيرتى حتى كاد يقطعها ورمى بى بعيدا عن المجلس، وقال لي: إن رأيتك تدخلين هنا مرة أخرى قطعت رجلك» (نفس المصدر، ٥٨).

و في رواية «أنثى العنكبوت» تستعرض الروائية كيف يتلاعب الوالد بمصيرة بناتها بالسهولة:

«لم تهدأ شقيقتي ندى بل نامت تلك الليلة نوما متقطعا تتخلله نوبات بكاء وصراخ... لم يرحم أبي شبابها وفتوتها بل قيدها بحبال قاسية ونقلها في الصباح الباكر إلى مستشفى الصحة النفسية ليصمها بوصمة العار إلى الأبد.. مريضة بالفصام ورفض إخراجها من المستشفى مطالبا برعايتها رعاية كاملة ليتخلص من مسؤوليتها» (العليان، ٢٠٠٠، ٢٣).

هنا نتناول تحليل الدوافع للظواهر الاجتماعية وحوادث ترتبط بالنساء والظلم إليهن. ففي رواية «الاختلاس»، للبنت اشتباك دائم مع أسرتها وزوجها وهم يخالفونها فى معظم الشؤون والحافز الرئيس لهذه المخالفات و الاشتباك هو التقاليد لا المبادئ الدينية أو الشرعية أي أنَّ أسرتها تقوم بتضييق الخناق عليها ليس لأنَّها تقوم بأعمال تخالف لا تخالف الدين والشرع ولكن الأسرة جرّاء التقاليد المهترئة تمنعها من تلك الأعمال: «بعد حين أدركت أن قرارات أهلها، وحتى زوجها، لا علاقة له بمبدأ ديني أو شرعي، سواء أكان الأمر متعلقا بالغطاء أم بما هم أقل من ذلك أم أكثر. هي التقاليد التي يصرّون على إحيائها في زمن ليس زمنها» (نقشبندي: ١٠). في هذه الرواية الزوج لا يبالي بزوجته؛ لأنه في هذا المجتمع الذي يصوره الروائي، العلاقة القائمة بين الزوجين قائمة على الغرائز الجنسية: «فكّرت سارة كيف أن الرجال لا يعرفون كم تكره المرأة أن تأتى حريتها من زوج لا يهتم متى تروح أو تأتى. اهتمامه يبدأ عندما تتحرّك غرائزه. مرة في الأسبوع أحيانا، أو مرة في الشهر غالبا، وأحيانا تغيب رغبته فيها عدة أشهر (نفس المصدر،١٤).

وفي رواية «الاختلاس» بطلة الرواية تسعى للحديث عن قضية الخيانة في المجتمع ولكنَّها تبوء بالفشل؛ لأن الحكومة لا تسمح بالتصريح عن ذلك لوسائل الإعلام، وعندما تتناول وسائل الإعلام مثل هذه القضايا تعالجها معالجة طفيفة وسطحية: «كل ما ذكره التحقيق عن الخيانة الزوجية، أن مثل هذه الحالات هي

ظاهرة شاذة لا نعرفها في مجتمعنا الإسلامي. أهذه هي الصراحة التي كانت تنتظرها سارة من العنوان الذي أتي على الغلاف: «لأول مرة، حديث صريح عن الخيانة الزوجية» (نفس المصدر، ٢٥).

وفي رواية «نساء المنكر» لسمر المقرن،يسمُ المجتمع النساء بأنَّهن ضعيفات؛لأنّه يريد أن يجعل نوع النساء في حيّز الضعف ومن ثمَّ هذا تكون له إمكانية ضبط جموح النساء وكل ما لا يوافقه فيهنّ: «يا لكم من جبناء تنعتونها بالضعيفة وما من ضعيف سواكم. تخشون المرأة، تهابون لقاءها، وتعجزون عن كبت غرائزكم عنها. في حضرتها تتبختر قوة العضلات وتتلاشى هيبة اللحى والشنبات، فإيماءة منها تحرّككم في كل اتجاه، ولم تكونوا حتى كلعبة الشطرنج؛ لأنّها للأذكياء» (المقرن، ٢٠٠٨، ٩).

ففي هذا النص من الرواية، البنت تتعرّض لأبشع أنواع هتك حرمتها؛ لأن المجتمع لا يقول بالكرامة لها؛ ولهذا يأذن لنفسه أن يهتك كرامتها (راجع نفس المصدر، ٤٢ و ٤٣). وفي رواية «حين رحلت» نلاحظ معاملة من نوع آخر إزاء النساء : ((في لغتنا لا يوجد وصف للرجل الفاجر، الرجل المفرط في إشباع نزواته، نادرا ما أستطيع وصفه، وإن وجدت فهي عبارات أقرب إلى التهذيب والفتور)). (مرضى، ٣٦،٢٠١١).

وجرّاء هذه العقيدة يعاملون المرأة معاملة حيوانية ويعطونهنّ فضلات طعامهم: «في بيتنا وكل بيوت التي أعرفها، لم يكن يسمح للنساء بالأكل إلا بعد ورود الرجال عليه!، النساء في بريدة يأكلن ما يفضل من طعامهم» (نفس المصدر، ٥٠). وفي رواية «هند والعسكر» نلاحظ أنَّ الأسرة تمنع البنت من العمل خارج البيت؛ لأنه يعطيها الاستقلال ويخفّف من إمكانية السلطة على البنت: «أرادت أن تقنعني بأن عملي في مستشفى قد يحوّل حياتي إلى جحيم؛ إلا أنَّها في الحقيقة كانت تقلق من هذا العمل الذي سيجعلني بعيدة عن مراقبتها ونقدها ساعات طويلة، وسيجعل يدي ممتلئة بالمال الذى كانت تتحكم بإعطائي إياه» (البشر، ٢٠٠٦، ١٣ – ١٤). وفي نص آخر من الرواية زملاء هند في المستشفى أي الرجال لا يخضعون لمديرة المستشفى لأنهم ؛ ليسوا قائلين بالجدارة في النسوان؛ ولهذا يتمرّدون عليها عند العمل: «مديرتى مطلّقة، في الأربعين من عمرها،إلا إنَّ المكياج يظهرها أصغر مما هى عليه، وأكثر ما يضايقها فى العمل تمرّد مؤظّفيها الذكور الذين يعملون تحت إدارتها ولا ينصاع أحد منهم لأوامرها ؛ لكونها امراة، ويرفضون المرور بمكتبها فى الثامنة صباحا للتوقيع على دفتر الدوام؛ ويتعللون

بأن مكتبها بعيد عن مكاتبهم في الممر الأمامي من المستشفى» (نفس المصدر، ٦٨). وفي رواية «أنثى العنكبوت»، نرى أنَّ والد بطلة الرواية يخالف طلاق ابنته من رجل ظالم ؛لأنه يعيش في مجتمع يرى الطلاق مجلبة للعار ومن أجل ذلك يفضّل سوء حظ ابنته على ازدراء المجتمع إياه: ((قال أبي بلهجته الواثقة: ليس عندنا مطلقات في العائلة ولن يكون.. ستعيشين مع زوجك وتتحملين معه كل الصعوبات ثم تموتين معه، فبناتي اللائي أزوجهن لا يعدن أبدا إلى بيتي، هيا... هيا انهضي لتعودي إلى زوجك...)). (العليان، ٢٠٠٠، ١٣).

ونرى أيضاً نظرة المجتمع إلى الطلاق في المجتمع في رواية «هند والعسكر»: «الطلاق هو أملي و مناي، هل فيه راحتي وسعادتي، هل أستعيد بعده حبي وحريتي أم أنه بعيد المنال كبعد شطحات أحلامي عن واقعي التعيس... الطلاق في عائلتنا مرفوض في رأي أبي، وممزوج في نظر رجال الأسرة ومعيب نسائها... فمن تطلب الطلاق فهي ترفض النعمة وتثور على المجتمع وتتحدى التقاليد والعادات وتقف أمام الجميع كريشة في مهب الريح... ومن تطلق على الرغم منها فهي وضيعة منحرفة بلا أخلاق أو ضمير...» (البشر، ٢٠١٣: ١٨١). في هذا المجتمع الذكورى، يسود اعتقاد أنَّ البنت لا تقدر على حراسة نفسها ؛ومن أجل ذلك يمنعها من العمل في مكان بعيد عن البيت: «تخرجت في الجامعة وحزت على بكالوريوس لغة عربية، فجاء تعييني في قرية تبعد عن مدينتنا عشرات كيلومترات، حينها حدثت مشادة كبرى بيني وبين أبي... فقد رفض وظيفتي البعيدة وخيرني بين وظيفة قريبة في مدينتنا نفسها أو المكوث في البيت من دون وظيفة» (العليان، ٢٠٠٠، ٢٠).

وإذا ما نظرنا إلى هذه القضية بعمقٍ وجدنا أنَّ فساد معتقد الرجال وسوء ظنهم في هذا المجتمع هو السبب في منع النساء من العمل، ونحن لا نرى اعتراف والد البنت بهذه الحقيقة وإبداء خوفه من أن تصبح ابنته فريسة الرجال يمنع ابنته من العمل في خارج البيت. ولعلَّ أحد حوافز الزواج القسري للبنات من الشيوخ الأثرياء هو أن البنت أداة للتجارة في هذا المجتمع ويسيل الأرباح له: ((قبل أن أغيب عن الوعي أطلق على قلبي رصاصته الأخيرة وحكم عليّ بالإعدام...

- استعدى... زواجك من أبي عليٍّ بعد شهر فقط.. لقد طلبك مني مرات عديدة والآن فقط سأجيبه لطلبه...

أبو علي.. من هو أبو علي هذا... رباه... كلا... كلا... إنه الشيخ السبعيني تاجر قطع الغيار، زوج لامرأتين وأب لخمسة عشر ولدا وبنتا... إنه مصير سعاد

يعود لي مرة أخرى.. كلا بل إنه أسوء من مصير سعاد، ثم دخلت في غيبوبة أنستنى كل شيء مؤقتا» (نفس المصدر، ١٤٠).

و في القسم الآخر من دراسة الواقعية أتناول الواقعية الفنية في الروايات التي كانت لها معايير عدة ، لكن ما يهمنا هنا هو دراستها من وجهة نظر اللغة.

قيل إنَّ الواقعيين قد فضلوا النثر على الشعر؛ لأنه اللغة الطبيعية للناس وتتيح مجالاً واسعاً ومرناً للوصف والإفاضة والتحليل.

«ضوضاء في رأسي، تزدحم أمامي وجوه كثيرة جميعها بشعة لا فرق بين الملتحية منها ولا الحليقة ، لا الإسلاميين ولا الليبراليين، ولعلّ الفارق الوحيد بينهم الذي يجعل الليبراليين أجمل صورة في عيوننا أنهم لا يملكون سلطة في البلد تجعلهم يبطشون كما هو حال المتأسلمين» (المقرن، ٢٠٠٨: ٥٣). ففي هذا النص من رواية (نساء المنكر) نلاحظ أنَّ الروائي قد اختار لغة تناسب الروايات الواقعية والوصف والتحليل ، وفيها سلسة مناسبة للرواية الاجتماعية.

فضلا عن ذلك نلاحظ أيضاً هذه اللغة المناسبة للروايات الواقعية في رواية «حين رحلت»: ((..فمنذ وجدت نفسي مرغمة على الزواج برجل يجاوز الستين يرحمني من غول العنوسة الذي اقترب أو كاد؛ لأن جريمة ارتكبتها حين كنت في الثامنة عشرة من عمري لم تكن خاضعة للغفران ولا النسيان وأصبحت كالوصمة تسيء إلى اسمي وتعريفي عند الآخرين)). (نفس المصدر، ١٠). وفي نص آخر من الرواية نفسها نلاحظ لغة تحليلية وصفية: «لا يوجد رجل خارج نطاق الرغبات، لايجود رجل بتول، بينما هناك مئات النساء المتبتلات، مئات النساء العذراوات، حتى الأربعين، إذا كانت الرغبة لم تنتصر على المرأة وسحقت الرجل، فلماذا حتى الآن مازالت هي الناقصة، هي الماجنة، هي الخاطئة، هي المدانة؟!» (نفس المصدر، ٨٠).

للروايات الواقعية، اللغة المأنوسة الواضحة البعيدة عن التوعرّ والتكلف من جهة، وعن الإسفاف والابتذال من جهة أخرى، المراعية لقواعد اللغة مع شيءٍ من المرونة والتسامح حين يتعلق الأمر بالطبقات الشعبية العادية.. ويمكننا أيضاً أن نرى هذه اللغة الواضحة البعيدة عن التكلّف في رواية «هند والعسكر»: «أتذكّر قصة البنت ذات الجورب الأبيض، كل ليلة قبل النوم، وأرتجف وأبول على نفسي في فراشي؛ أحاول ألا أنسى واجبي حين أُخطف بأن أفضح خاطفيّ، ولكن الرعب الذي يسكنني يتمحور حول سؤال واحد لا يتعلّق بكيفية حماية نفسي من الخطف، بل: ماذا لو خطفوني في المساء حيث لا ألبس في العادة جوربا؟» (البشر،

٢٠١٣: ٢٨ – ٢٩). علاوة على ذلك فإنَّنا نلاحظ في النص الآتي من الرواية نفسها لغة تتجنّب الابتذال والإسفاف والروائية عبر هذه اللغة تتطرّق إلى الطبقة العادية للمجتمع: «كنت أتخيّل نفسي مثل سندريلا، يتيمة من دون أب. كنت أرى في زوجة أبي الظالمة صورة أمي التي تضربني وتكلفني بالأعمال الشاقة في المنزل. كنت أطمح دائما إلى الخلاص من المنزل الذي لايحبني فيه أحد. عندما عرفت أن الأمير الشاب هو الذي خلّص سندريلا من عذاب زوجة أبيها، قررت أن أبحث بدوري عن أمير شاب أحبه، فوجدت ابن جارنا الوسيم سالم الذى يكبرنى بعشر سنوات، فهو الوحيد الذي يمكن أن يكون في سن الأمير» (نفس المصدر، ٣٢).إذ نلاحظ اللغة الواضحة التي تبتعد عن الابتذال؛ لأنها هادفة وهدفها استعراض مشاكل النساء في المملكة العربية السعودية فحسب؛ ولهذا يتجنّب الروائي من استعمال لغة معقّدة. وينتمي معظم أولاء النساء في هذه الروايات إلى الطبقة المتوسّطة، ونرى أثر هذا الأمر في اللغة التي اختارها الروائيون لعملهم الأدبي.

النتيجة:

في دراسة خمس روايات تتناول إلى مشاكل النساء في للملكة العربية السعودية أي «الاختلاس» لهاني نقشبندي، و«نساء المنكر» لسمر المقرن و«حين رحلت» لسهام مرضى و«هند والعسكر» لبدرية البشر و«أنثى العنكبوت» لقماشة العليان، على وفق نظريات لوسيان غولدمان الاجتماعية والبنيوية التكوينية تحصلت لي النتائج الآتية : أحد المقولات الرئيسة لدى لوسيان غولدمان هو التشيّؤ الذي يتجلّى في ذوبان الشخصية في المجتمع واختفاءها اختفاءا تاما، وشاهدنا في الروايات المدروسة أن المجتمع يحوّل الشخصيات النسائية إلى الشيء ويذوّبهنّ في المجتمع وعلى هذا الأساس توجد سمات التشيّو في كثير من الروايات المدروسة.

وثمَّة سمة بارزة أخرى للبنيوية التكوينية فى الروايات وتتمثل في البطل الإشكالي في الروايتين؛ «هند والعسكر» و«الاختلاس»، إذ لبطلتي هاتين الروايتين قيم أصيلة ،وقد بذلتا قصارى جهودهما لتطبيق هذه القيم فى المجتمع بيد أنَّ جهودهما قد باءتْ بالفشل. فضلاً عن ذلك يمكننا أن ندرس هذه الروايات الخمس من وجهة النظر التي ترى أن العمل الأدبي صنيع الجماعة أوالطبقة التي ينتمي إليها صاحب الرواية، وأبطال هذه الروايات رمزٌ للطبقة الاجتماعية التي تنتمي إليها الشخصية وكل روائي أو روائية استلهم قصة روايته من أحداث طبقته الاجتماعية، ولا يمكننا أن نعدّ الرواية من نتاج الروائي فحسب بل هي نتاج

الجماعة أو الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها الروائي أوالروائية وأنَّ الفنّان قد أحدث العمل الأدبي ممثلاً لطبقته.

وقد كانت الروايات التي درسناها فى هذا المقال روايات اجتماعية. والمضامين الرئيسة المطروحة فيها تتمثل في العنف ضد النساء بجميع الأشكال، والبنيوية التكوينية نظرية اجتماعية وأدبية في الوقت عينه. وللروايات التي تتطرّق إلى القضايا الاجتماعية مثل مشاكل النساء مجال مؤاتٍ لدراسة مثل هذه المواضيع على وفق رؤية لوسيان غولدمان للرواية. وهذه الروايات الخمسة مادة جيدة للدراسة عبر الرؤية المنشودة للوسيان غولدمان؛ لأنّنا نلاحظ في هذه الروايات انعكاسا للقضايا الاجتماعية أوكما يسمّيه لوسيان غولدمان الوظيفة التعبيرية، وعلاوة على ذلك، فإنَّا نجد في هذه الروايات تناظراً بين بنيتيها الشكلية والموضوعية. ،وهذا يعني أنَّ هناك تماثلاً هناك تماثل بين المضامين الواقعية والواقع المعيشي والخارجي، ولهذه المقاربة الاجتماعية في هذه الروايات تغلب على الطابع الشكلي.

وتُعدُّ الواقعية من الروافد التي كانت وراء ظهور النقد البنيوي التكويني في مجالي الأدب والنقد. وأصبحت مجالا مؤاتيا لدراسة الأعمال الأدبية في رؤية اجتماعية أي في ضوء النقد الاجتماعى. وقد لاحظنا في دراسة الروايات المؤشّرات الرئيسة للواقعية مثل نزول الروايات إلى الواقع الطبيعي والاجتماعي، أي الارتباط بالإنسان في بيئته وتفاعله وصراعه مع البيئة الطبيعية والاجتماعية، من هنا استمد الروائيون موضوعاتهم وحوادث الروايات وأشخاصها وكلّ تفصيلاتها، وثمَّة سمة بارزة أخرى وهي حيادية الروائيين في معظم الأحايين، ولا ننكر أنَّ من الممكن أن الروائيين قد انتهجوا نهجا مغاليا ومشوبا بالشعار فى بعض الأوقات، بيد أنَّ النهج الرئيس فى عموم رواياتهم هو الميل إلى الحيادية، فضلا عن ذلك

أنَّ الحافز وراء أعمال الأبطال بيّن وواضحفي هذه الروايات ، وعلاوة على ذلك، فإنَّ اللغة المختارة لهذه الروايات لغة مناسبة للروايات الواقعية أي أنّها لغة سهلة وسلسة وبعيدة عن التعقيد والابتذال، وجميع هذه السمات الواقعية في الروايات يؤهّلها للدراسة على وفق نظريات غولدمان الاجتماعية، والمقصود بكون الرواية واقعية، توفّر المجال للدراسة الاجتماعية وهذه الروايات تتمتّع بالمؤشّرات الرئيسة للواقعية.

المنابع والمآخذ

١. إبـراهيم ثـامر، (٢٠١١) **المصـاورة البينويـة فـى النقـد العربـى الحـديث**، عمـان: دار جليس الزمان للنشر والتوزيع.

٢. أحمـد الحـاج، أنيسـة، (٢٠١٦) **الاتجـاه الاجتمـاعى فـى النقـد الروائـى فـى المغـرب العربـى (دراسـة فـى نقـد النقـد)**، رسـالة الـدكتوراه، الأسـتاذ المشـرف: عزالـدين المختـومى، الجمهوريـة الجزائريـة، جامعـة وهـران، كليـة الأداب واللغـات والفنـون؛ قسـم اللغة العربية وأدابها.

٣. الأصـفر، عبـد الـرزاق، (١٩٩٩) **المـذاهب الأدبيـة لـدى الغـرب مـع ترجمـات ونصوص لأبرز أعلامها**، دمشق: اتحاد الكتاب العرب.

٤. بارت، رولان، (١٩٩٣) **مدخل إلى التحليل البنيوى**، ترجمة: منذر عياشى، د م.

٥. البشر، بدرية، ٢٠١٣، **هند والعسكر**، ط٥، بيروت: دار الساقى.

٦. بوشـعير، الرشـيد، (١٩٨٠) **الواقعيـة فـى أدب يوسـف إدريـس**، رسـالة الماجسـتير، جامعة دمشق، كلية الأداب، قسم اللغة العربية وأدابها.

٧. حـاجم، محمـد علـى، (٢٠١٦) **المنجـز الروائـى فـى ذى قـار مـن ١٩٧٠ حتّـى ٢٠١٤م؛ دراسـة سوسـيولوجية**، أطروحـة الماجسـتير، الأسـتاذ المشـرف: علـى حسين جلود الزيدى، جامعة ذى قار، كلية التربية للعلوم الإنسانية.

٨. الحمدانى، حميد، (١٩٨٤) «**مـن أجـل تحليـل سوسـيو بنـائى للروايـة «روايـة المعلـم على نموذجا**»، د. ط، الدار البيضاء، منشورات الجامعة- السلسلة الذهبية.

٩. حمـداوى، جميـل، (٢٠١٦) **البنيـة التكوينيـة بـين النظريـة والتطبيـق**، ط١، المغرب: د م.

١٠. خرشـوش، خيـرة و منـال زنـاتى، (٢٠١٤-٢٠١٥) **آليـات البنيـة التكوينيـة مـن خـلال كتـاب «ظـاهرة الشـعر المعاصـر فـى المغـرب لمحمـد بنـيس»**، الأسـتاذ المشـرف: محمـد مكـاكى، أطروحـة الماجسـتير، الجمهوريـة الجزائريـة الديمقراطيـة الشـعبية، جامعـة الجيلالـى بونعامـة بخمـيس مليانـة، كليـة الأداب واللغـات، قسـم اللغـة والأدب العربى.

١١. الـدرّاج، فيصـل، (١٩٩٩) **نظريــة الروايــة والروايــة العربيــة**، ط ١، دار البيضـاء: المركز الثقافى العربى.

١٢. عـدة مـؤلفين (١٩٩٧) **مـدخل إلـى منـاهج النقـد الأدبـي**، (ترجمـة رضـوان ظاظـا)، سلسـلة عـالم المعرفـة ٢٢١، المجلـس الـوطني للثقافـة والفنـون والآداب، الكويـت، أيار.

١٣. العليان، قماشة، د تا، **أنثى العنكبوت**، دار الكفاح للنشر والتوزيع.

١٤. غولـدمان، لـوئيس، (١٩٩٦) **العلـوم الإنسـانية والفلسـفة**، ترجمـة يوسـف الأنطاكى، مراجعة محمد برادة، د.ط، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة.

١٥. غولـدمان، لـوئيس، (٢٠١٠) **الإلـه الخفـى**، ترجمـة زبيـدة القاضـى، دمشـق: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب.

١٦. الحمـدانى، حميـد، (١٩٨٤) «**مـن أجـل تحليـل سوسـيو بنـائى للروايـة «روايـة المعلـم علـى نموذجـا**»، د. ط، الـدار البيضـاء، منشـورات الجامعـة– السلسـلة الذهبية.

١٧. مرضـى، سـهام، ٢٠١١م، **حـين رحلـت**، ط١، بيـروت: دار العربيـة للعلـوم ناشرون.

١٨. المقرن، سمر، ٢٠٠٨، **نساء المنكر**، ط١، بيروت: دار الساقى.

١٩. نقشبندى، هانى، د تا، **اختلاس**، دار الساقى.

٢٠. وائـل، سـيد عبـد الـرحيم، (٢٠٠٨) **تلقـى البنيويـة فـى النقـد العربـى**، ط١، كفـر الشيخ: العلم والإيمان للنشر والتوزيع.

٢١. وهيبـة، عجـام، (٢٠١٥) **البطـل المضـاد فـى روايـة «دميـة النـار» لمفتـى بشـير**، رسـالة الماجسـتير، الأسـتاذ المشـرف: إدريـس سـامية، جامعـة عبـدالرحمان ميـرتف كلية الآداب واللغات، قسم الغة والأدب العربى.

22. social problem novel" in *Encyclopædia Britannica*. *Encyclopædia Britannica Online Academic Edition*. Encyclopædia Britannica Inc., 2012. Web. 04 Nov. 2012.